

منع الفلسطينيين من العودة الى اراضيهم واستعادة املهم، وكان هؤلاء مستعدين لأي حل يضمن لهم ذلك، كما أوضحتها مباحثات لوزان العام ١٩٤٩، وباريس العام ١٩٥٠، وجنيف العام ١٩٥١.

وككل الدراسات التاريخية الهامة، يشكل كتاب فلابان، مورداً خصباً لباحثي اليوم، سياسة وتاريخاً. غير ان من الخطأ ان ننظر بعينه حين ينزع الى التأكيد ان بريطانيا كانت تدعم عبد الله في مشروعه لاقامة سوريا الكبرى، «خدمة لمصالحها الاستراتيجية». فقد أكدت وثائق كشفت مؤخراً (١٩٨٦)، ان بريطانيا لم تساند، بأي صورة من الصور، مثل هذا الطموح. أما بالنسبة الى عبد الله، فقد كانت مشكلة فلسطين مرتبطة، بشكل لا فكاك منه، بإنشاء امارة شرق الاردن في العام ١٩٢٢، وبرزت باعتبارها القضية الاساس في سياسته الخارجية بعد الحرب العالمية الثانية. وعلى الرغم من الانفصال الرسمي للمنطقة الواقعة غرب الاردن عن الانتداب البريطاني، وهي حقيقة انتهت عبد الله الى قبولها على مضض، فانه لم يتخل، قط، عن هدفه في توحيد ضفتي نهر الاردن، كهدف في حد ذاته، وكخطوة لازمة في بناء سوريا الكبرى التي يسيطر عليها الهاشميون، على حد سواء.

وبالنسبة الى عبد الله، أيضاً، الذي اعترف، ذات مرة، بأنه لم يقتنع، ابداً، «بالبرية الواقعة شرق الاردن» التي حصل عليها، استمرت جاذبية فلسطين، حتى بعد ان تحطمت آماله في اقامة سوريا الكبرى. فالمنطقة الواقعة الى الغرب من نهر الاردن، توفر اتجاهاً طبيعياً للتوسع الهاشمي، وتتيح مصدراً محتملاً للاسواق ورأس المال، وكذلك منفذاً الى البحر. وبالإضافة الى ذلك كله، هناك القدس. واخيراً، لم يستطع عبد الله ان يتجاهل التحدي المحتمل من حركة وطنية فلسطينية غير منظمة، وان كانت رأديكالية تحت زعامة منافسه الحاج أمين الحسيني. وتوصل عبد الله الى انه ينبغي عليه ان يلعب دوراً بارزاً في ادارة القضية الفلسطينية غرب نهر الاردن، بغية الحفاظ على نظامه ذاته. لقد أسرّ عبد الله لصديق له بقوله: «ان المفتي و [شكري] القوتلي (الرئيس السوري) يريدان اقامة دولة عربية مستقلة في فلسطين بزعامة المفتي؛ ولو تم ذلك، فسيحيط بي الاعداء من كل جانب».

ولقد اتاحت الاحداث التي وقعت في فلسطين ما بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٩، فرصاً ومخاطر، كانت اهم من ان يتجاهلها عبد الله. ففي اليوم التالي لانشاء دولة اسرائيل، دخلت القوات الاردنية الضفة الغربية. وبمجيء العام ١٩٤٩، اضاف عبد الله ٢٢٠٠ ميل مربع الى المملكة الهاشمية، وضمن القدس، ودعم مكانة اسرته.

على أي حال، لقد كان عبد الله يؤمن بأن سياسته الفلسطينية هي نتيجة طبيعية لدور الهاشميين ومسؤوليتهم التاريخية. فالهاشميون الذين طردهم السعوديون من شبه الجزيرة العربية، وأبعدهم الفرنسيون من دمشق، وأنكر عليهم دورهم التقليدي كحماة للحجاز، كانوا في حاجة الى فلسطين لاستعادة مكانتهم ولاسترجاع نفوذهم «الضائع».

وبالطبع، ليست اعادة كتابة التاريخ مقصدنا هنا. ولا نحن متمكنون من المادة التاريخية، بصورة كافية، لنجزم حيث شكك المحترفون من المؤرخين، أو تلعثموا، أو اختلفوا. ما نقدر على لحظه هو ان مد اليد الى موضوع لم يزل رئيس الأهمية، وهو نشأة اسرائيل، مسألة معقدة، ولكنها ليست، بالضرورة، مستحيلة.